ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلثمائة

ذكر ما فعله الروم بالجزيرة

في هذه السنة، في المحرم، أغار ملك الروم على الرها ونواحيها، وساروا في ديار الجزيرة حتى بلغوا نصيبين، فغنموا، وسبوا، وأحرقوا، وخربوا البلاد، وفعلوا مثل ذلك بديار بكر، ولم يكن من أبي تغلب بن حمدان في ذلك حركة، ولا سعى في دفعه، لكنه حمل إليه مالاً كفّه به عن نفسه، فسار جماعة من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنفرين، وقاموا في الجوامع والمشاهد، واستنفروا المسلمين.

ج٧/٤٤/ط وذكروا ما فعله الروم من النهب، والقتل، والأسر/ والسبي، فاستعظمه الناس، وخوّفهم أهل الجزيرة من انفتاح الطريق وطمع الروم، وأنهم لا مانع لهم عندهم، فاجتمع معهم أهل بغداد، وقصدوا دار الخليفة الطائع لله، وأرادوا الهجوم عليه، فمنعوا من ذلك وأغلقت الأبواب، فاسمعوا ما يقبح ذكره، وكان بختيار حينئذٍ يتصيّد بنواحي الكوفة، فخرج إليه وجوه أهل بغداد مستغيثين، منكرين عليه اشتغاله بالصيد وقتال عمران بن شاهين - وهو مسلم - وترك جهاد الروم، ومنعهم عن بلاد الإسلام حتى توغلوها، فوعدهم التجهز للغزاة.

وأرسل إلى الحاجب سبكتكين يأمره بالتجهز للغزو، وأن يستنفر العامة، ففعل سبكتكين ذلك، فاجتمع من العامة عدد كثير لا يحصون كثرة، وكتب بختيار إلى أبي تغلب بن حمدان، صاحب الموصل، يأمره بإعداد الميرة والعلوفات، ويعرفه عزمه على الغزاة، فأجابه بإظهار الفرح وإعداد ما طلب منه[1].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢١٤، ٢١٥)، وذكره الذهبي في «دول الإسلام» (١/ ٢٢٣)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ٢٠٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٢)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٦).

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة وقعت ببغداد فتنة عظيمة، وأظهروا العصبية الزائدة، وتحزب الناس، وظهر العيارون وأظهروا الفساد، وأخذوا أموال الناس، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من استنفار العامة للغزاة، فاجتمعوا وكثروا، فتولد بينهم من أصناف البنوية، والفتيان، والسنية، والشيعة، والعيارين، فنهبت الأموال، وقتل الرجال، وأحرقت الدور، وفي جملة ما احترق: محلة الكرخ، وكانت معدن التجار والشيعة، وجرى بسبب ذلك فتنة بين النقيب أبي أحمد الموسوي. والوزير أبي الفضل الشيرازي وعداوة.

ثم إن بختيار أنفذ إلى المطيع لله يطلب منه مالاً يخرجه في الغزاة، فقال المطيع: إن الغزاة والنفقة عليها، وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وتجبي إليَّ الأموال، وأما إذا كانت حالي هذه، فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم من البلاد في يده وليس لي إلا الخطبة، فإن شئتم أن أعتزل فعلت، وترددت الرسائل بينهما حتى بلغوا إلى التهديد، فبذل المطيع لله أربعمائة ألف درهم، فاحتاج إلى بيع ثيابه، وأنقاض داره وغير ذلك، وشاع بين الناس من العراقيين وحجاج خراسان وغيرهم: أن الخليفة قد صودر، فلما قبض بختيار المال، صرفه في مصالحه، وبطل حديث الغزاة[1].

ذكر مسير المعز لدين الله العلوي من الغرب إلى مصر

في هذه السنة سار المعز لدين الله العلوي من أفريقية يريد الديار المصرية، وكان أول مسيره أواخر شوّال من سنة إحدى وستين وثلثمائة، وكان أول رحيله من المنصورية، فأقام بسردانية ـ وهي: قرية قريبة من القيروان ـ ولحقه بها رجاله وعماله وأهل بيته وجميع ما كان له في قصره من أموال وأمتعة وغير ذلك، حتى أنّ الدنانير سبكت، وجعلت كهيئة الطواحين، وحمل كل طاحونتين على جمل وسار عنها.

واستعمل على بلاد أفريقية: يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري، إلا أنه لم يجعل له حكماً على جزيرة صقلية، ولا على مدينة طرابلس الغرب، ولا على أجدابية وسرت، وجعل على صقلية حسن بن علي بن أبي الحسين على ما قدمنا ذكره،

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٦)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٣٠٨)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ٢٠٠).

وجعل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي، وكان أسيراً عنده، وجعل على جباية أموال أفريقية: زيادة الله بن القديم، وعلى الخراج: عبد الجبار الخراساني، وحسين بن خلف الموصدي، وأمرهم بالانقياد ليوسف بن زيري، فأقام/ بسردانية أربعة أشهر حتى فرغ من جميع ما يريد، ثم رحل عنها ومعه يوسف بلكين وهو يوصيه بما يفعله. ج٧/٤٥/ط

ونحن نذكر آنفاً من سلف يوسف بلكين وأهله ما تمس الحاجة إليه، ورد يوسف إلى أعماله، وسار إلى طرابلس ومعه جيوشه وحواشيه، فهرب منه بها. جمع من عسكره إلى جبال نفوسة، فطلبهم فلم يقدر عليهم، ثم سار إلى مصر، فلما وصل إلى برقة ومعه محمد بن هانىء الشاعر الأندلسي، قُتل غيلة، فرؤي مُلقى على جانب البحر قتيلاً لا يدري من قتله، وكان قتله أواخر رجب من سنة اثنتين وستين وثلثمائة، وكان من الشعراء المجيدين، إلا أنه غالى في مدح المعز، حتى كفّره العلماء، فمن ذلك قوله:

مَا شِئْتَ لا مَا شَاءَتِ الأَقْدَارُ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ

وقوله:

ولطالما زاحمت تحت ركابه جبريلاً

ومن ذلك ما ينسب إليه ولم أجدها في ديوانه قوله:

حَلَّ بِرُقَادَةِ المَسِيحُ حَلَّ بِهَا آدمُ وَنُوحُ
حَلَّ بِهَا اللهُ ذو المَعَالِي فَكُلَّ شَيءٍ سِوَاهُ رِيحُ

ورقادة: اسم مدينة بالقرب من القيروان إلى غير ذلك، وقد تأوّل ذلك من يتعصّب له والله أعلم، وبالجملة فقد جاوز حد المديح، ثم سار المعز حتى وصل إلى الإسكندرية أواخر شعبان من السنة، وأتاه أهل مصر وأعيانها، فلقيهم وأكرمهم وأحسن إليهم، وسار فدخل القاهرة خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة، وأنزل عساكره مصر والقاهرة في الديار وبقي كثير منهم في الخيام، وأما يوسف بلكين، فإنه لما عاد من وداع المعز، أقام بالمنصورية يعقد الولايات للعمال على البلاد.

وباشر الأعمال، وطيّب قلوب الناس، فوثب أهل باغاية على عامله، فقاتلوه فهزموه، فسيّر إليهم يوسف جيشاً فقاتلهم، فلم يقدر عليهم، فأرسل إلى يوسف يعرفه الحال، فتأهب يوسف وجمع العساكر ليسير إليهم، فبينما هو في التجهّز، أتاه الخبر عن تاهرت: أنّ أهلها قد عصوا وخالفوا، وأخرجوا عامله، فرحل إلى تاهرت فقاتلها، فظفر

بأهلها وخرّبها، فأتاه الخبر بها: أنّ زناتة قد نزلوا على تلمسان، فرحل إليهم فهربوا منه. وأقام على تلمسان فحصرها مدة، ثم نزلوا على حكمه فعفا عنهم، إلا أنه نقلهم إلى مدينة/ أشير، فبنوا عندها مدينة سموها: تلمسان. ج٧/٤٦/ط

ثم إن زيادة الله بن القديم جرى بينه وبين عامل آخر كان معه اسمه: عبد الله بن محمد الكاتب منافسة صارت إلى محاربة، واجتمع مع كل واحد منهما جماعة، وكان بينهما حروب عدة دفعات، وكان يوسف بلكين مائلاً مع عبد الله لصحبة قديمة بينهما.

ثم إن أبا عبد الله قبض على ابن القديم وسجنه، واستبدَّ بالأمور بعده، وبقي ابن القديم محبوساً حتى توفي المعز بمصر، وقوي أمر يوسف بلكين.

وفي سنة أربع وستين، طلع خلف بن حسين إلى قلعة منيعة، فاجتمع إليه خلق كثير من البربر وغيرهم، وكان من أصحاب ابن القديم المساعدين له، فسمع يوسف بذلك، فسار إليه ونازل القلعة وحاربه، فقتل بينهما عدة قتلى، وافتتحها وهرب خلف بن حسين، وقتل ممن كان بها خلق كثير، وبعث إلى القيروان من رؤوسهم سبعة آلاف رأس، ثم أخذ خلف وأمر به، فطيف به على جمل، ثم صلب وسيّر رأسه إلى مصر، فلما سمع أهل باغاية بذلك، خافوا فصالحوا يوسف ونزلوا على حكمه، فأخرجهم من باغاية وخرب سورها[1].

ذكر خبر يوسف بلكين بن زيري بن مناد وأهل بيته

هو: يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري، اجتمعت صنهاجة ومن والاها بالمغرب على طاعته قبل أن يقدّمه المنصور، وكان أبوه مناد كبيراً في قومه كثير المال والولد، حسن الضيافة لمن يمر به، وتقدّم ابنه زيري في أيّامه، وقاد كثيراً من صنهاجة، وأغار بهم وسبى، فحسدته زناتة وجمعت له لتسير إليه وتحاربه، فسار إليهم مجداً، فكبسهم ليلاً ـ وهم غارون ـ بأرض مغيلة، فقتل منهم كثيراً وغنم ما معهم فكثر تبعه، فضاقت بهم أرضهم، فقالوا له: لو اتخذت لنا بلداً غير هذا. فسار بهم إلى موضع

(١) ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (وفيات سنة: ٣٦٢ هـ) (٢٩٩، ٣٠٠)، وذكره أيضاً في «دول الإسلام» (١/ ٢٢٣)، وذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ٢٢٨)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٤/ ١٧٠ ـ ١٧٤)، (٢٨/ ١٤٠ ـ ١٤٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٧)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٧)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٢).

مدينة أشير، فرأى ما فيه من العيون فاستحسنه، وبنى فيه مدينة أشير وسكنها هو وأصحابه، وكان ذلك سنة أربع وستين وثلثمائة، وكانت زناتة تفسد في البلاد، فإذا طلبوا، احتموا بالجبال والبراري، فلما بنيت أشير، صارت صنهاجة بين البلاد وبين زناتة والبربر، فسرَّ بذلك القائم.

وسمع زيري بغمارة وفسادهم، واستحلالهم المحرمات، وأنهم قد ظهر فيهم نبي، فسار إليهم وغزاهم، وظفر بهم وأخذ الذي كان يدَّعي النبوة أسيراً، وأحضر الفقهاء فقتله، ثم كان له أثر حسن في حادثة أبي يزيد الخارجي، وحمل الميرة إلى القائم بالمهدية، فحسن موقعها منه.

ثم إن زناتة حصرت مدينة أشير، فجمع لهم زيري جموعاً كثيرة. وجرى بينهم عدة وقعات قتل فيها كثير من الفريقين، ثم ظفر بهم واستباحهم، ثم ظهر بجبل أوراس رجل وخالف على المنصور، وكثر جمعه، يقال له: سعيد بن يوسف، فسيَّر إليه زيري ولده بلكين في جيش كثيف، فلقيه عند باغاية واقتتلوا، فقتل الخارجي ومن معه من هوارة وغيرهم، فزاد محله عند المنصور، وكان له في فتح مدينة فاس أثر عظيم، على ما ذكرناه.

ثم إن بلكين بن زيري قصد محمد بن الحسين بن خزر الزناتي، وقد خرج عن طاعة المعز، وكثر جمعه، وعظم شأنه، فظفر به يوسف بلكين وأكثر القتل في أصحابه، فسرّ المعز بذلك سروراً عظيماً؛ لأنه كان يريد أن يستخلف يوسف بلكين على الغرب لقوّته وكثرة أتباعه، وكان يخاف أن يتغلب على البلاد بعد مسيره عنها إلى مصر، فلما استحكمت الوحشة بينه وبين زناتة، أمن تغلبه على البلاد.

ثم إن جعفر بن علي، صاحب مدينة مسيلة وأعمال الزاب، كان بينه وبين زيري محاسدة، فلما كثر تقدم زيري عند المعز، ساء ذلك جعفراً، ففارق بلاده ولحق بزناتة، فقبلوه قبولاً عظيماً، وملكوه عليهم عداوة لزيري، وعصى على المعز، فسار زيري إليه في جمع كثير من صنهاجة وغيرهم، فالتقوا في شهر رمضان واشتد القتال بينهم، فكبا بزيري فرسه، فوقع فقتل.

ورأى جعفر من زناتة تغيراً/ عن طاعته، وندما على قتل زيري، فقال لهم: إن ابنه يوسف بلكين لا يترك ثأر أبيه، ولا يرضى بمن قتل منكم، والرأي أن نتحصّن بالجبال المنيعة والأوعار، فأجابوه إلى ذلك، فحمل ماله وأهله في المراكب، وبقي هو مع

ج٧/٤٧/ط

الزناتيين، وأمر عبيده في المراكب أن يعملوا في المراكب فتنة، ففعلوا ـ وهو يشاهدهم من البر ـ فقال لزناتة: أريد [أن] انظر ما سبب هذا الشر. فصعد المركب ونجا معهم. وسار إلى الأندلس إلى الحاكم الأموي، فأكرمه وأحسن إليه، وندمت زناتة كيف لم يقتلوه ويغنموا ما معه.

ثم إن يوسف بلكين جمع فأكثر، وقصد زناتة وأكثر القتل فيهم، وسبى نساءهم، وغنم أولادهم، وأمر أن يجعل القدور على رؤوسهم، ويطبخ فيها، ولما سمع المعز بذلك، سرّه أيضاً، وزاد في إقطاع بلكين المسيَّلة وأعمالها، وعظم شأنه، ونذكر باقي أحواله بعد ملكه أفريقية.

ذكر الصلح بين الأمير منصور بن نوح وبين ركن الدولة وعضد الدولة

في هذه السنة، تم الصلح بين الأمير منصور بن نوح الساماني، صاحب خراسان وما وراء النهر، وبين ركن الدولة وابنه عضد الدولة، على أن يحمل ركن الدولة وعضد الدولة إليه كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار، وتزوّج نوح بابنة عضد الدولة، وحمل إليه من الهدايا والتحف ما لم يحمل مثله، وكتب بينهم كتاب صلح، وشهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق، وكان الذي سعى في هذا الصلح وقرره: محمد بن إبراهيم بن سيمجور، صاحب جيوش خراسان من جهة الأمير منصور[١].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في صفر، انقضّ كوكب عظيم وله نور كثير، وسُمع له عند انقضاضه صوت كالرعد، وبقي ضوءه. وفي شوال منها، ملك أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين، سلّمها إليه نائب أخيه حمدان، فأخذ أبو تغلب كل ما كان لأخيه فيها من أهل ومال، وأثاث، وسلاح، وحمل الجميع إلى الموصل[٢]/ . ج٧ / ٤٨/ط

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٧)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤٦)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٧)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٢)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٣١١، ٣١٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٥/ ٣٥٨).

(٢) ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢١٠)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ١٤٤)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٧)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٢، ١١٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٧).

obeikandl.com